العودة إلى المدن العشر

(مرقس ٧: ٣١-٨: ٢١)

تأليف: جو شوبيرت

تم شفاء المجنون الذي من كورة الجدريين في وسط المدن العشر، وهي من مقاطعات الأممين التي عُرفت بمدنها العشرة. في إنجيل مرقس ٧:٣١-٨:٢١، عاد يسوع إلى تلك المنطقة لينهمك بالتعليم والتبشير. زار ربنا هذه المقاطعات مرتين فقط خلال أعماله التبشيرية كما تم تدوينها.

الإنسان الأصم الأعقد (مر ٧:٣١-٣٥)

يقول إنجيل مرقس ٧:٣١-٣٥ ما يلي:

> ثم خرج أيضاً من تخوم صور وصيداء وجاء إلى بحر الجليل في وسط حدود المدن العشر. وجاؤا إليه بأصم أعقد وطلبوا إليه أن يضع يده عليه. فأخذه من بين الجمع على ناحية ووضع أصابعه في أُذنيه وتفل ولمس لسانه. ورفع نظره نحو السماء وأنّ وقال له «إفثا» أي انفتح. وللوقت انفتحت أذناه وانحل رباط لسانه وتكلم مستقيماً.

كانت حالة هذا الإنسان مثيرة للشفقة. يقول الكتاب المقدس بانه «كان أصم وأعقد.» يقول مرقس البشير بأن يسوع أخذه من بين الجمع على ناحية ليشفيه. كانت هذه معاملة لطيفة لهذا الإنسان، إذ أخذه يسوع من بين الناس وتعامل معه بصورة شخصية. وضع أصابعه في أُذنيه ثم تفل في أصابعه ولمس لسانه. اتجه يسوع بنظره نحو السماء وبنظرة عميقة نطق الكلمة الآرامية «إفثا» التي تعني «انفتح.» وللوقت استطاع الإنسان ان يسمع ويتكلم.

يعتبر هذا بالحقيقة عملا استثنائيا. في يومنا هذا، عندما يفتح أذني أصم، يحتاج عادة وقت من الزمن قبل أن يتكلم، إذ يجب ان يتعلم كيف يتكلم. وأما هذا الإنسان فشفي حالاً. بدأ يسمع ويتكلم.

تحرك يسوع المسيح سريعا لمنع أستغلال هذه المعجزة العظيمة. في الآيتين التاليتين أوصاهم يسوع أن لا يقولوا لأحد.

> فأوصاهم أن لا يقولوا لأحد. ولكن على قدر ما أوصاهم، كانوا ينادون أكثر كثيراً. وبهتوا إلى الغاية قائلين إنه عمل كل شيء حسناً. جعل الصم يسمعون والخرس يتكلمون (أيتي ٣٦ و ٣٧).

تكلم يسوع إلى الجمع وأوصاهم ان لا يكلموا أحداً. في لغة الأصل أي اليونانية أستخدم صيغة الفعل المستمر وهذه تعني بان يسوع استمر يطالبهم بعدم نشر هذا الخبر خارجاً. ولكن الكتاب المقدس يقول بان «على قدر ما أوصاهم، كانوا ينادون أكثر كثيراً.»

السبب الذي من أجله طلب الرب هذا، كان ليمنع قيام نوع معين من التشديد في ما يختص بخدمته. أراد يسوع ان يتجنب كلياً وعلى مدى فترة خدمته ان يُعرف كصانع معجزات. كانت لإرساليته وخدمته بعدا أعمق جداً من عمل المعجزات. لا يريد من الناس أن يأتوا إليه فقط بسبب العجائب العظيمة.

الجمع اليائس (مر ٨:١-١٠)

ينتقل إنجيل مرقس إلى الأصحاح ٨ دون فاصل طبيعي بين الأصحاحين ٧ و ٨. يقول إنجيل مرقس ٨:١-١٠ ما يلي:

> «وفي تلك الأيام إذ كان الجمع كثيراً جداً ولم يكن لهم ما يأكلون، دعا يسوع تلاميذه وقال لهم» إني أشفق على الجمع لأن الآن لهم ثلثة أيام يمكثون معي وليس لهم ما يأكلون. وإن صرفتهم إلى بيوتهم صائمين يخورون في الطريق. لأن قوماً منهم جاءوا من بعيد. «فأجابه تلاميذه:» من أين يستطيع أحد أن يشبع هؤلاء خبزاً هنا في البرية؟ فسألهم «كم عندكم من الخبز؟» فقالوا «سبعة.» فأمر الجمع أن يتكئوا على الأرض. وأخذ السبع خبزات وشكر وكسر وأعطى تلاميذه ليقدموا فقدموا إلى الجمع. وكان معهم قليل من صغار السمك. فبارك وقال أن يقدموا هذه أيضاً. فأكلوا وشبعوا. ثم رفعوا فضلات الكسر سبعة سلال. وكان الآكلون نحو أربعة آلاف. ثم صرفهم. وللوقت دخل السفينة مع تلاميذه وجاء إلى نواحي دلمانوثة.

هناك وجه تشابه بين ما سجل في إنجيل مرقس في الأصحاح ٨ ومعجزة اطعام الخمسة آلاف رجل في الأصحاح السادس من الإنجيل نفسه. لكن النقطة المهمة التي يجب ملاحظتها هي ان هنالك فروقات. فقبل أصحاحين أطعم يسوع خمسة آلاف؛ وهنا أطعم أربعة آلاف رجل. تم اطعام الخمسة آلاف في منطقة يهودية. وأما اطعام الأربعة آلاف هذا، فهو واضح بجلاء انه في منطقة أُممية، في وسط حدود المدن العشرة. عند اطعام الخمسة آلاف، كانت هنالك خمسة أرغفة؛ أما هنا عند اطعام الأربعة آلاف، يوجد سبع خبزات؛ عند أطعام الخمسة آلاف كانت هناك سمكتين؛ وأما هنا يقول مرقس كان قليل من صغار السمك. عند اطعام الخمسة آلاف رفعوا من الكسر اثنتي عشرة قفة مليئة بالأكل بعد ان شبع كل واحد؛ وأما هنا فرفعوا سبعة سلال مليئة بفضلات الكسر. من العجب ان استخدمت كلمة «قفة» عند أطعام الخمسة آلاف في الأصحاح السادس من إنجيل مرقس وهي من الكلمة اليونانية «كوفينوس» التي تصف القفة التي يحمل فيها اليهود عادة طعامهم. كانت واسعة من الأسفل أكثر من الأعلى، تشبه في شكلها جرة ماء. كانت هذه قفة اليهود العادية لحمل الطعام. واستخدمة كلمة «سلال» مفردها «سلة» التي توصف الحجم الكبير وهي نوع الكلمة نفسها التي استخدمت عندما أُنزِل بولس الرسول من على سور دمشق في سلة في الأصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل. يستخدم الأمم السلة عادة والتي تختلف في الشكل والغرض منها عن قفة اليهود. إذن ليس هناك شك بان كان هناك مناسبتين مختلفتين مع مشاهدين مختلفين، الأولين يهود والآخرين أُمم، وحدثتا في منطقتين مختلفتين.

هناك وجه تشابه أيضاً بين المعجزتين. الخبز والسمك كان الطعام في كل من الحادثتين. بارك يسوع الكمية بطريقة إعجازية في كل من الحالتين.

السؤال الذي يجب أن يُسأل هو: «لماذا أعاد يسوع تكرار مثل هذه المعجزة»؟ ربما أن جزءا من الإجابة هي انه كان يعمل للأمم ما فعله سابقاً لليهود. كان يريد للأمم أن يتعلموا الدروس نفسها التي تعلمها اليهود حتى يفهم تلاميذ يسوع بان مهمته ورسالته تضم الأمم كما تضم اليهود أيضاً.

ولكن مرقس البشير يوضح بجلاء بان هذه المعجزة لاطعام الأربعة آلاف قد أُجريت أساساً لأن يسوع أشفق على الجمع. مكث الجمع معه لمدة ثلاث أيام دون ان يأكلوا شيئاً. من الواضح انهم مكثوا معه على رجاء ان يروا معجزة. مكثوا ثلاث أيام يتوقعون فيها ان يروا شيئاً يذهلهم. كما توقع يسوع، عندما خرج أهل المنطقة وتكلموا عن شفائه للإنسان الأصم المعقود اللسان، انتشر الخبر وعم المدن كلها وتدفق الناس بالآلاف ليروه. هذه هي السلبية التي كان يحاول تجنبها.

رغم أن مرقس البشير لم يفعل ذلك، فمن المحتمل ان الرب علم الناس خلال تلك الأيام الثلاث. أعتقد انه علم أولئك الناس بعض من الرسالة نفسها التي علم بها اليهود سابقاً. ولكن لم يكفيهم هذا التعليم. انهم لبثوا هناك على

رجاء أن يروا معجزة.

بعد ثلاث أيام لاحظ الجمع بان عليهم ان يعودوا إلى بيوتهم. فتردد أن يصرفهم فقط لأن ليس لديهم طعام. كان يخشي ان تخور قواهم في منتصف الطريق عند عودتهم. لم يرغب أن يجري مزيدا من المعجزات حتى لا يخطيء الجموع فهم خدمته ورسالته. ومع ذلك أجرى معجزة، بسبب قلبه الشفوق الذي لا يسمح له أن يرى أولئك الناس الجياع يمضون دون طعام.

وقع هذا الحدث في أقاصى بحر الجليل، في وسط حدود المدن العشر، حيث شفى يسوع في وقت سابق إنسان به روح نجس في الأصحاح الخامس من إنجيل مرقس. في الوقت الآخر عندما كان يسوع في هذه المنطقة طلب إليه الناس ان يمضي من تخومهم. كانوا منزعجون عندما أهلكت خنازيرهم، مما تشير أيضاً إلى ان المنطقة أممية. لا يربي اليهود الخنازير. في الوقت نفسه طلب الناس إلى يسوع أن يمضي، وتوسل هذا المجنون الذي شفي، توسل إلى يسوع ليسمح له ان يسير معه ويتبعه. قال يسوع: «كلا، أبقى هنا بين أهل بلدتك وكلمهم بما حدث في حياتك؛ أما أنا فأمضي. اني أُلبي بطلبهم. لكن أريدك أن تبقى هنا لتخبر الناس عما حدث إليك.» هل من المحتمل بان جزءا من هذا الجمع الكبير الذي يقدر بآلاف البشر، الذين أحاطوا بالمسيح كانوا هناك بسبب نشاطات تبشيرية قام بها هذا المجنون الذي شُفِيَ؟

٣. مطالبة الفريسين (مر ٨:١١–١٣)

في الآية التالية من نص درسنا هذا، تتغير النبرة بوصول الفريسيين أعداء يسوع التقليديين، وصلوا ليبدأوا محاورة. وفي إنجيل مرقس ٨:١١–١٣ نقرأ ما يلي:

> فخرج الفريسيون وابتدأوا يحاورونه طالبين منه آية من السماء لكي يجربوه. فتنهد بروحه وقال: «لماذا يطلب هذا الجيل آية؟ الحق أقول لكم لن يعطى هذا الجيل آية. ثم تركهم ودخل أيضاً إلى السفينة ومضي إلى العبر.»

كان الفريسيون هم الذين يدينون غيرهم والمنتقدون الدينيون في القرن الأول. كل مرة ظهروا فيها على صفحات العهد الجديد، يجمعون معلومات لتستخدم ضد يسوع أو يدبرون مكيدة لكي يهلكوه.

فماذا يريدون هذه المرة؟ أرادوا آية من السماء. لم يكتفوا بمعجزات الشفاء التي يكون دافعها المحبة والتي أجراها يسوع بتكرار. كانت معجزات يسوع استجابات صادقة لحاجة الإنسان. ليس هناك صوت الرعد ولا لمعان البرق عبر السماء ولا نار من السماء، لا كتابة باليد عبر السموات. بدلاً عن تلك، كانت هذه معجزات المحبة، لتلبية حاجة الإنسان.

لم تكن هذه كافية للفريسيين. كانوا يريدون آية مادية وملموسة في السموات التي تشير بان يسوع كان بالحقيقة المسيا المنتظر. كانت نزعة العصر الذي عاش فيه يسوع هي البحث عن الله في ما هو غير عادي. كان هذا أعتقاد بان عندما يأتي المسيا، ستجرى أحداث مروعة ومبددة. عندما قام مسحاء كذبة، كما فعلوا بتكرار في القرن الأول، يغروا الناس ليتبعوهم بتعهدهم بانهم سيجروا كل أنواع الأيات المبهرة. جاء الفريسيون وهم يريدون أن يروا بعض من الأحداث الرهيبة، كإنفجار مدويا عبر الأُفق، وخرق لقوانين الطبيعة وأبهار الناس.

ولكن يسوع رفض بصراحة. ليس لأن يسوع لم يستطع أن يفعل ما طلبوه. كان باستطاعته ان يفعل ذلك. ولكن لأنه لا يفعل ما طلبوه. على الأقل لم يعطيهم نوع الآية التي يطلبونها، ليست بالطريقة التي يريدونها وليست للغرض الذي بذهنهم. ليست هناك كمية من الإثباتات تقنع من قرر في ذاته ان لا يؤمن. علم يسوع بان الفريسيين كانوا في هذه اللحظة من الزمان قد وصلوا إلى نقطة لا يؤمنون من بعدها. لا تقيم كل الآيات في العالم. رفض الرب أن يعطي أية آية لأولئك الرجال لأنه عرف قلوبهم.

في سجل متى البشير لهذا الحدث وفي الأصحاح ١٢ من إنجيل متى، لقد دون استجابة

يسوع كلها للفريسيين. في متى ١٢:٣٩ و ٤٠، يقول بان يسوع قال في إجابته للفريسيين ما يلي:

> جيل شرير وفاسق، يطلب آية ولا يعطى له إلا آية يونان النبي. لأنه كما كان يونان في بطن الحوت ثلثة أيام وثلاث ليال، هكذا يكون إبن الإنسان في قلب الأرض ثلثة أيام وثلاث ليال.

أي بعبارة أخرى، قال يسوع للفريسيين: «لا يعطى لكم آية غير آية القيامة. سأمكث في باطن الأرض ثلثة أيام وثلاث ليال وأقوم من بعدها. تلك هي الآية التي ستعطى لكم.» ومع ذلك، نحن نعلم من قرأ السجل الموحي به بانه حتى عندما قام يسوع من الموت، لم يقبل الفريسيين تلك الآية ولم يؤمنوا لأن قلوبهم أغلقت عن الإيمان. إذا أغلق قلب الإنسان عن الحقيقة، فليس مهم كم عدد الحقائق التى ستعطى لاقناعه، انه لن يقتنع. قال يسوع: «لا يعطى لكم آية.» فتركهم وخرج من تخومهم، تاركاً اياهم في عمى وعناد القلب.

٤. وصف الفساد (مر ٨:١٤-٢١)

تبدأ الفقرة التالية من الأصحاح ٨ لإنجيل مرقس كما يلي:

> ونسوا أن يأخذوا خبزاً ولم يكن معهم في السفينة إلا رغيف واحد. وأوصاهم قائلاً: «أنظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين وخمير هيرودس.» ففكروا قائلين بعضهم لبعض «ليس عندنا خبز» (الآيات ١٤-١٦).

هذه فقرة غريبة. تبدوا وكأنها إستجابة التلاميذ ليسوع لم تكن ذات معنى. لم تكن ذات معنى حقاً إلا إذا نظر احد بحرص إلى المفهوم التى أتى بهذه العبارة. تسلط هذه القطعة ضوء حقيقي على عقول التلاميذ في هذه النقطة. يرى مفهوم هذا بصورة أفضل إذا ربطناه بما قد مضى قبل قليل. عندما كانوا يعبرون بحر الجليل، كان يسوع لم يزال يفكر عن ما حدث قبل وقت وجيز. لم يزل يفكر بزيارة أولئك الفريسيين. ومن الظاهر انه كان يفكر أيضاً عن رد فعل الملك هيرودس عنه وعن إرساليته. لهذا التفت إلى التلاميذ في السفينة الصغيرة وقال: «احترسوا! وتحرزوا من خمير الفريسيين والهيرودسيين.»

كان اليهود يعتبرون الخميرة رمز للشر. للخميرة علاقة بالتخمر، وللتخمر علاقة بالإفساد. بهذا كان يسوع يقول للتلاميذ: «أحترسوا من فساد الأفكار والحياة التي يعيشها الفريسيين والهيرودسيين. وتحرزوا من نفوذهم الشرير. لا تسلكوا مسلكهم.»

ما هي العلاقة بين الفريسيين والملك هيرودس؟ سأل الفريسيين عن آية قبل قليل لأن اليهود لم يستطيعوا التفكير عن المسيا إلا بمفهوم آيات وعجائب في السموات وأحتفالات قومية لإسرائيل. وكان هيرودس من ناحية أخرى يحاول كسب سعادته بإكتساب السلطة، والغنى والنفوذ والهيبة. بمفهوم ما، تمسك كل من الفريسيين والهيرودسيين بمفهوم ملكوت الله كمملكة دنيوية للتسلط والضغط والعظمة، والقوة. كانت نظريتهم مبنية على سلطة دنيوية مادية العظمة، والنصر الذي تفوز به القوة وحدها.

بهذه الإشارة الخفيفة للتلاميذ، كان يسوع يحاول اعدادهم لشيء يأتي في القريب العاجل. هذا وكأنه يقول: «إسمعوا! سيتضح لكم قريباً بانني هو المسيا. وعندما يأتي ذلك الوقت، لا ترتكبوا الخطأ المميت الذي قد ارتكبه الفريسيين، والهيرودسيين واليهود الآخرين إذ اعتقدوا بانني سلطان سياسي دنيوي. فان مفاهيمهم سيئة. انهم كالخميرة، شريرون، فأحترسوا أن لا تقعوا في ذلك النوع من التفكير وإلا فتضلوا عن معرفة نوع المسيا الذي أنا هو.»

ولكن هذه الإشارة الخفيفة من يسوع، لم يفهمها التلاميذ، لم يفكروا عن شيء غير الحقيقة بان لديهم رغيفاً واحداً فقط وبان إن لم يحدث شيئا فوق العادة فانهم سيعبرون البحر وهم جياع. مع ان قبل ساعات قليلة، شاهد أولئك التلاميذ بأنفسهم يسوع يطعم

أربعة آلاف رجل، بالإضافة إلى النساء والأطفال، بسبع خبزات. كانت تسود عليهم حقيقة الخبز بحيث لم يدركوا تسميم افكار الفريسيين والهيرودسيين. قالوا: « لا بد انك تكلمنا بهذا لأن ليس لدينا خبز. » الخميرة والخبز مرتبطان بطريقة ما، ولكن بالحقيقة يأخذ بعداً للأتيان بهذين سوية. ولكن تلك الرابطة الوحيدة التي يستطيع التلاميذ علمها. تتسلط عليهم الأفكار عن الأشياء المادية بحيث ضلوا تماماً عن ما أراد يسوع أن يعلمهم به.

ألقى يسوع سلسلة من الأسئلة التعليمية على التلاميذ. لم يسألهم في غضب، بل كشخص يريد أن يقود طفل بطيء الفهم ليرى حقيقة ذاتية. تقول الآيات من ١٧ إلى ٢١ ما يلي:

> فعلم يسوع وقال لهم: « لماذا تفكرون أن ليس عندكم خبز؟ ألا تشعرون بعد ولا تفهمون؟ أحتى الآن قلوبكم غليظة؟ ألكم أعين ولا تبصرون ولكم آذان ولا تسمعون ولا تذكرون؟ حين كسرت الأرغفة الخمسة للخمسة الآلاف، كم قفة مملوءة كسراً رفعتم؟ » قالوا له « اثنتي عشرة. » « وحين السبعة للأربعة الآلاف كم سل مملواً رفعتم؟ » قالوا: « سبعة » فقال لهم « كيف لا تفهمون؟ »

قد نشعر بالشفقة في صوت ربنا عندما سألهم: « ألا تفهمون بعد؟ »

كان سؤاله موجها للتلاميذ، ولكن موجه لنا أيضاً. ما زال يسوع يوجه إلينا اليوم ويقول: « ألا تفهمون؟ ألا تذكرون؟ » فكر قليلاً في تجارب حياتك. أتى حزن ومع ذلك مضيت قدماً بطريقة ما. أتت تجربة، ولكن وقفت دون تزعزع. أصابك مرض، ولكنك نلت الشفاء بطريقة ما. ومشكلة تبدو بغير حل، ولكن تم حلها بطريقة ما. آمنت بانك اقتربت من النهاية، ولكن بطريقة ما تمكنت من المضي إلى الأمام. وصلت نقطة الإنفصال، ولكنك لم تنفصل. إن كنا نحن كمسيحيين نتذكر فقط، لوجدنا الإيمان في قلوبنا التي تعلم بان الله الذي أتى بنا إلى هذا الحد بآمان سيمضي بنا خلال أي شيء يحدث إلينا في الأعوام القادمة. إذن سؤال المسيح للتلاميذ هو لنا أيضاً: « ألا تفهموا بعد؟ ألا تذكروا؟ »

الخلاصة

ليساعد الله كل منا لنؤمن إيماناً عميقاً بانه قادر تماماً ان يعتني بكل احتياجاتنا. تذكر كلمات بولس الرسول إلى أهل فليبي في رسالته إليهم: فيملأ إلهي كل احتياجكم بحسب غناه في المجد في المسيح يسوع (فليبي ٤:١٩). ذلك هو الدرس الذي أراد يسوع أن يعلم به تلاميذه دائماً، وكانوا بطيئين في تعليمه. ذلك هو الدرس نفسه الذي يحاول أن يعلمه لكل واحد منا اليوم، وهكذا نحن مثلهم نبطيء بالفهم.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧